يوم المعلم العالمي ... صائغ أم حداد؟!

| د. منال الديحاني |

يحتفل العالم في الخامس من أكتوبر من كل عام- وافق أمس- باليوم العالمي للمعلم، والذي حددته منظمة العمل الدولية ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونيسكو)، وذلك للإشادة بدور المعلم ومكانته في المجتمع. ويمر هذا اليوم بأفضل حالاته بفعاليات شكلية، تتضمن أناشيد، وتوزيع الورود، وبعض الخطب العصماء، لينتهي هذا اليوم من دون أثر جوهري يبقى في نفوس المعلمين وغيرهم من أفراد المجتمع، تعزيزا لدور المعلم ومكانته الحقيقية.

في يوم المعلم العالمي ندّعي بأن المعلم في الكويت مكرمٌ ومقدرٌ من قبل المجتمع، ولكنه في الحقيقة يهاجم على مدار العام الدراسي، ويُحمّل وزر تردي الأوضاع التعليمية دائما. عزيزي المسؤول... المعلم لا يحتاج أنشودة أو وردة تهدى له في يوم محدد، وفي احتفاليات شكلية لا مضمون لها، من المؤسف أنه هو مَنْ يتحمل أعباء التكاليف والتنظيم والإعداد ليحتفي بنفسه! وذلك لتخدر ضميرك ولترفع عنك ثقل تقصيرك تجاهه على مدار العام الدراسي.

عزيزي المسؤول ما يحتاجه المعلم هو التكريم الفعلي المتمثل بتوفير سبل تعزيزية لرفع قدراته وإمكانياته، لا تحميله أعباء لا علاقة له بها، و إدخاله في دوامة العمل الروتيني، وتحميله وزر التخبط في النظام التربوي، الذي يقتل التميز والإبداع وسبل التطوير لديه.

رسالة للمعلم/ المعلمة... إنك لا تحتاج ليوم لتكريمك وتقدير مكانتك، فأنت مكرمٌ من الله عز وجل بتولي أشرف مهنة ورسالة تولاها قبلك أشرف البشر، الرسل والأنبياء معلمي البشرية عليهم أفضل الصلاة والسلام، ولنا في المصطفى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قدوةٌ حسنة فهو المربي الأول والمعلم الملهم الذي غير تاريخ البشرية.

عزيزي المعلم/ المعلمة، لنجعل لهذا اليوم العالمي أثرا فعليا في الميدان، ليكن يوما للتقييم الذاتي، لا أعني بذلك جلد الذات، إنما المحاسبة البناءة، والتي تنبع من أهمية مكانتك ودورك، فأنت عصب المنظومة التعليمية وعمودها الفقري، فشلك في القيام بدورك وإتمام رسالتك يعني ببساطة انهيارا للنظام والمجتمع. إن كنت تبحث عن تكريم أو تقدير فلا أروع أن ترى ثمار جهدك طوال العام في أبنائك التلاميذ.

معلمي الفاضل عليك طرح هذا السؤال البسيط، هل أنت معلم صائغ أم معلم حداد؟

معلم صائغ يرى تلاميذه في القاعات الدراسية كالجواهر والألماس التي تبحث عن صائغ يصقلها ويلمعها بكل صبر ومهارة، ليُظهر أجمل ما فيها، فتزداد بريقاً ولمعاناً يخطف الأبصار، لتزهر طاقاتهم الكامنة ومواهبهم الإبداعية في أروقة المدارس، تمهد لهم سُبل المعرفة واكتساب المهارات، وتخلق لهم بيئة مدرسية جاذبة، تتشكل فيها أجمل الذكريات ليحتفي بهم الوطن ويزدهر. أم تقمصت دور الحداد وامتهنت الحدادة، فشحذت همتك لتضرب بمطرقة التثبيط والإهمال والتهميش، ورأيت في تلاميذك معادن رخيصة تحتاج إلى التطويع بمطرقة التلقين وصهر شخصياتهم واغتيال التميز لديهم، ليخرج جيل مستهلك للعلم، غير منتج، حُبس في صندوق أسود، فانزوت إمكانياتهم ومواهبهم ومعالم هويتهم في دهاليز التدريس التقليدي.

أخيرا عزيزي المعلم/ المعلمة، أحسن صوغ تلك الجواهر الثمينة والعناية بها، فهي أعظم تكريم لك، وكل عام وأنت أكثر ابداعا وتميزا وتطورا، أنت كما قال مصطفى صادق الرافعي: «المُعَلِّمُ ثَالِثُ الأَبَوَيْنِ، فَلْيَنْظُرْ كيفَ يأبُوْ، حِينَ يَنظُرُ كَيفَ يُعَلِّمُ».

«بوركيني» مايا الحاج والهوية الملتبسة

| كه يلان محمد |

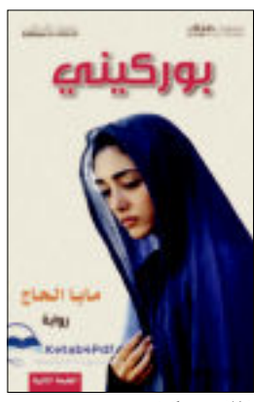

غلاف «بوركيني»

إنَّ الخوض في التفاصيل وتوصيف الحالات السيكولوجية، التي يختبرها المرءُ من خلال تفاعله مع مؤثرات خارجية وما تحدثه المؤثرات تلك على سلوكياته ورؤيته للآخر من الموضوعات التي تَنْهَضُ عليها الفنون السردية وعلى وجه الخصوص الروائي... إذ يعترف سيمغوند فرويد بأنّه كلما أراد تشخيص مشكلة نفسية لدى الإنسان وجد بأن دويستوفسكي قد سبقه في ذلك.

وهذا الأمرُ يُبينُ بأنَّ الروائي يحتاجُ إلى معرفة دقيقة بسرائر نَفْسية الإنسان عندما يشرعُ بترسيم شخصيات عمله وتصوير أبعادها النفسية والاجتماعية والبنية الجسمانية. تختار الكاتبة والروائية اللبنانية مايا الحاج، البعد النفسي في شخصية بطلة روايتها «بوركيني» من منشورات الضفاف - الجزائر، بيروت، منطلقاً لمُقاربة جملة من القضايا المُرتبطة بالواقع الإنساني، حيثُ تتناول الرواية حياة فنانة ترعرعتْ في بيئة خالية من الإكراهات الدينية والسياسية والاجتماعية، فهي تُشَكِّلُ مع شقيقتيها ثلاثية في فن الرسم والشعر والموسيقى، فهي قد راق لها الفن التشكيلي وبات لها مُحترف تنهمكُ فيه على رسم لوحاتها الفنية ولا تُخفي رغبتها من أن تكون شخصيتها كفنانة تطغى على جانبها الأُنثوي، إذ تُباغتُ الأهل بقرار ارتداء الحجاب وهي طالبة في كلية الفنون، كما لا يعجب أصدقاؤها هذا التحول في شكلها، من هنا تبدأُ إشكالية الهوية لدى هذه الشخصية إذ تصفحُ عما تشعر به من الازدواجية في شخصيتها وهذا مايتجسدُ أكثر في أعمالها وتقديم نساء لوحاتها بطريقةٍ غير مُحْتَشِمةٍ إذ تلبي هؤلاء النسوة العاريات الملفعات بالظلال ما تتمناه في قرارة نفسها من أن تتحرر من ثقل ملبسها المحتشم.

لا يملك المتلقي من دون أن يبحثَ شفيرة هذا التناقض في شخصية البطلة لماذا اختارت الحجاب طالما تعتقدُ بأنَّ هذه الطريقة في الملبس تسلب المرأة جمالها ويطوقها ويطمر هويتها الأُنثوية؟ هنا تُحاول البطلة إقناع المتلقي بأن مرد قرارها هو رغبتها بأن تكون شخصية مميزة وغير متوقعة، لكن ربما هذا التفسير لا يكفي لفهم هذا التصرف بل تستشف في طبيعة العلاقة القائمة بين والديها أسباب مدلول قرار الفنانة المتحررة إذ ان أمها تظهر بكامل أناقتها سواء أكانت في البيت أو خارجها وذلك لكي تكبح جماح زوجها ولايُفكر في غيرها غير أنَّ اهتمام الأم بنفسها وجمالها الجسدي لم يمنع زوجها من الاستمرار في إقامة العلاقات الغرامية، لذلك تحاول الشخصية الأساسية أن يكون كيانها الإنساني مستقلاً من كل الاعتبارات والمُتعلقات الخارجية، بعدما تكتشف أن كل ماتعمله أمها لا يجدي نفعا لاستئثار بالزوج. إذ تمرُ عليك عبارات واستشهادات بما تؤكد بأن ما يهم الرجل في شخصية المرأة هو الجانب الذي يُشبع رغباته الغريزية كما تردُ الإشارات حول تحول جسد المرأة إلى مادة استهلاكية، وتضع أيضا الساردة ماراج من الإسراف بالتجميل لدى النساء في السياق نفسه.

وهذا لا يعني أن البطلة تستهين بالجسد أو تعتبرها قيدا على جوهر الإنسان بل احتجاجها على بعض المظاهر ليس إلا محاولة للحفاظ على الغموض الكامن في جسد الأنثى فمن دونه يفقدُ رمزيته، وذلك ما يحلينا إلى تصور بول أوستر للجسد الأنثوي إذ يعتقد مؤلف «اختراع العزلة» بأنَّ أجمل المكان الذي تدور عنه لاتجده إلا في جسد المرأة.

يفسرُ الفيلسوف الأميركي لويس مفورد، اهتمام الإنسان بصورته في المرآة بأنّه نتيجة لشعور الإنسان بشخصيته المستقلة وإدراكه لصفاته وذاتيته. لا تعود البطلة إلى ذاتها ولا تجد رغبة في رؤية نفسها في المرآة إلا بعدما تصادف مع حبيبها المحامي في المقهى وجود المرأة التي كانت على علاقة مع الأخير. وتلك المرأة تثير غيرتها بمظهرها الجذاب وشكلها المثير، فأمامها تشعر بأنها أقل منها خصوصا عندما تلاحظ تواصلا بصرياً بين حبيبها مع هذه المرأة التي تلعبُ دور المعارضة في الفضاء السردي، وفقاً لترتيب إتيان سوريو، للمواقع التي تحتلها الشخصية.

كما أن الساردة تتقمصُ دور الممثلة كونها فاعلةً في تحريك مسارات السرد، بجانب ذلك فإن شخصية المحامي تُمثلُ ما يسميه سوريو، بالقوة الجاذبة بالنسبة إلى شخصيتين أُخريين، وذلك ما يؤدي إلى ازدياد حدة الصراع على المستويين، الصراع الداخلي لدى البطلة من جانب وصراعها مع غريمها من جانب آخر، إذ تنقلب شخصية الفنانة تتفحصُ وجهها في المرايا كما تراودها فكرة التخلي عن الحجاب ما يعني الاستسلام للآخر والتنكر لهويتها الذاتية. ومن ثُمَّ تذكرُ العوامل التي رفدت معتقداتها الدينية إذ وقعت في ذلك تحت تأثير ماروته لها جدتُها من سيرة الأنبياء والأولياء، فمشهد جدتها وهي تصلي بثوبها الأبيض الخاص ألهمها فكرة الرسم. من هنا يتعرف المتلقي على خلفية الشخصية الدينية كما يطول العملُ مسائل ميتافيزيقية، إذ تؤكدُ الشخصية الرئيسية على أنَّ أسئلتها لا تعني زعزعة قناعتها الدينية كما أن تدينها لا يمنعها من مصادقة فتاة شيوعية، فالأخيرة دعت الفنانة لسهرة أقامتها السفارة الكوبية. فتلك الفتاةُ أذهلت الحضور برقصتها ورشاقة حركة جسدها ما يوقد شرارة المخيلة والتصورات لدى البطلة حول ما يشعرُ به خطيب صديقتها عندما يراها بحضورها الطاغي على خشبة المسرح، فهي سبق لها أن تخيلت ما يدور في ذهن حبيبها عندما التقى بالمرأة الخصمة، فالتخييل حول ما يتصوره الآخر جزء من تركيبة شخصية الفنانة هي تمتلك فراسة في قراءة الوجه كون هذا الجزء في الجسد وسيلة للغواية على حد قول غاستون باشلار.

فضلا عن ذلك، فإن لفظ العنوان بحد ذاته كان غير مألوف قبل اللغط الذي قد أثاره قرار حظره في فرنسا. زيادة على ذلك فأن هذه الرواية تتضمن أسماء الرسامين وعناوين لوحاتهم ما يمنح السردَ قوة إقناعية بحيثُ لا يساور القارئَ الشكُ في مهنة الساردة، بجانب شخصية الساردة التي توظف ضمير المتكلم يتوقف العمل عند شخصيات أخرى إذ وفقت الكاتبة في إسناد دور المساعد إليها. كما نجحت في تعامل مع عنصر الزمن اذ أعطته زخماً وكثافة يتوزع هذا العمل على سبعة أقسام وذاك الرقم مطابق لسبعة الأيام التي تفصل البطلة عن موعد إقامة معرضها من لحظة لقائها بحبيبها. تنتهي الرواية نهاية مفتوحة ملاءمة مع قلق البطلة وسؤالها عن المصير.

إضاءات

قضايا حيوية ... يجب طرحها!

| د. صباح السويفان* |

أرى أن الدفع بعجلة التقدم والتطور أهم بكثير من أن ننشغل بأمور تأثيرها على المجتمع محدود مثل زيادة سعر البنزين أو رفع الدعم عن بعض السلع، وغير ذلك من الأمور التي باتت تشغل الشارع الكويتي بشكل مبالغ فيه.

كيف ذلك؟!

سأجيب لكم عن السؤال- بالطبع من وجهة نظر غير ملزمة لأحد، لأنها قناعة شخصية لي- فعلى مجلس الأمة، الذي هو الجهة التي تشرع القوانين وتراقب أداء الحكومة، أن يلتفت إلى الأمور الجوهرية في حياة المجتمع، والتركيز عليها، من أجل الخروج بحلول ناجحة، وليس التفرغ لمشكلات آنية تتعرض لها كافة دول العالم مثل ارتفاع سعر البنزين والسولار وخلافه، تلك المشكلة التي أعتقد أن حلها يجب ألا يستغرق مثل هذه المدة من التداول والنقاش، وكأنها هي التي ستجعل المواطن يعيش في رغد وأمان عبر أجياله المقبلة، مما تسبب في بلبلة وتضارب في الآراء، ونقاش لم يصل إلى نتيجة... بينما تُترك مشكلات جوهرية تتعاظم وتكبر وتغزل خيوطها على حياتنا بشكل ملفت، مثل قضية زحمة المرور خصوصا في أوقات الذروة، مما يتسبب في تأخير المواطنين والمقيمين عن أعمالهم، وتلف الأعصاب، مما ينعكس على أداء الموظفين في كافة الأعمال الرسمية والأهلية والخاصة، هذه مشكلة نرى تداولها تحت قبة البرلمان بالأمر القليل مقارنة بأمور فرعية أخرى جاذبة للناخبين.

كما أن قضية أخرى أكثر أهمية، قد نراها مهملة ولا يتحرك السادة النواب فيها إلا حينما تنشأ مشكلة تستدعي التدخل، وأقصد هنا بالتعليم على المستوى العام والجامعي، فهناك مدارس غير مؤهلة لاستقبال أبنائنا الطلاب والطالبات، وهناك مناهج تعليمية بحاجة إلى إعادة تجديد، وهناك أفكار بحاجة إلى تطوير وغير ذلك، وحينما يتم طرح هذه القضايا في البرلمان، نراها لا تستغرق جلسة أو أكثر.

بينما حالة التعليم العالي... في الجامعة والمعاهد... بحاجة إلى وقفات كثيرة من أعضاء مجلس الأمة، ولكننا نحس من صمتهم وكأن التعليم العالي بألف خير، ولا توجد به مشكلات في المساحة الاستيعابية وتأهيل الخريجين وغير ذلك.

ونتحدث أيضا عن الصحة وما تتضمنه من مشكلات تحتاج إلى حلول، أقلها الكشف عن الأسباب الحقيقة التي تجعل الكثير من المواطنين يعزف عن العلاج في المستشفيات الحكومية المجهزة بأفضل الأجهزة، ولديها أفضل الكوادر الطبية، ألا يحتاج ذلك لسؤال برلماني، يتم تداوله لأكبر فترة ممكنة من أجل الحصول على إجابة وافية. ومع ذلك لا أرفض أن يتعرض مجلس الأمة لمشكلة مثل زيادة أي سلعة على المواطنين، ولكن في المقابل يجب أن يتعرض أيضا لقضايا أخرى، بالقدر نفسه، خصوصا إن كانت هذه القضايا لا تمس الوقت الآني ولكنها تمس المستقبل أيضا. فالبرلمانيون- للأسف- يتجاهلون قضايا لا تجذب أصوات الناخبين، مثل حال الثقافة، وما تحتاجه من مجهودات مكثفة للنهوض بها، وفي المقابل يهتم بسعر البنزين لأن ذلك سيحسب له أمام جمهور الناخبين.

* كاتب وأكاديمي في جامعة الكويت
alsowaifan@yahoo.com